حماية البيئة في الشرائع السماوية والبعد الإسلامي في توجيه سلوكيات وتصرفات الإنسان تجاه البيئة

محمد اوحيده أحمد اوحيده

قسم الدعوة وعلم الأديان، كلية الدراسات الإسلامية سبها، الجامعة الأسمرية الإسلامية

الملخص

لم يكن اهتمام الإنسان بالبيئة حديث النشأة، فقد بدأ الإنسان منذ القدم يرصد مظاهر البيئة من حوله، ويحاول أن يجد لها تفسيرا، حتّى جاءت الدّيانات السماوية التي صاغت أسس التعامل مع البيئة، وأرشدت لدور الإنسان في حماية البيئة.

وقد نادت الأديان السماوية بالإعداد الخلقي للإنسان، وجعلته قيمة كبرى، وأكّد الإسلام هذا المعنى بالتركيز على الأخلاق، وأنّ الأخلاق مجالها الحياة كلّها، وعلى رأسها علاقة الإنسان بربه، ثم علاقة الإنسان بنفسه، ثم علاقته بالآخر، إلى أن تصل إلى علاقة الإنسان بكافة المخلوقات.

وفي هذا الإطار تناولنا في هذا البحث موقف الشرائع السماوية من البيئة وحمايتها، وما يرتبط بها من سلوكيات وأخلاقيات، مركزين على البعد الإسلامي في توجيه سلوك الإنسان تجاه البيئة، انطلاقا من أن قضيَّة البيئة بمشكلاتها المتعددة من تلوّث، وهدر للموارد، وإخلال بالتوازن البيئي، أصبحت من القضايا الملحة التي يتطلب دراستها من جميع الجوانب.

وخلصنا إلى أن أحكام الفقه الإسلامي تتعامل تعاملا واقعيا في نظرتها للبيئة وعلاقتها بالإنسان، فهي تسهم إسهاماً فاعلاً وعمليا في علاج المشكلات البيئيّة، إذا تعامل الفرد وتعاملت المجتمعات مع قضايا البيئة من منظور إسلامي ابتداءً من أحكام الطهارة، إلى المحافظة على الثروات الطبيعية، وصولا إلى عدم الفساد في الأرض بجميع أشكاله ومختلف صوره؛ من أجل بيئة نقية طاهرة تساعد في دعم التنمية البشرية، وتحقيق العيش الكريم للإنسان.

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

العلاقة وطيدة بين الإنسان والبيئة، فبقدر ما تؤثر البيئة على الإنسان، فإن للإنسان تأثيرا في البيئة، والله سبحانه وتعالى صنع الكون بدقه وإتقان، وأبدع في خلقه، واستخلف الإنسان في الأرض لإعمارها والمحافظة عليها، وأوجد سبحانه وتعالى بين الإنسان والبيئة المحيطة به ترابطا متينا لا يمكن التخلي عنه، ودعاه لحمايتها وصونها وإعمارها.

واهتمام الإنسان بالبيئة لم يكن حديث النشأة، فقد بدأ منذ القدم يرصد مظاهر البيئة من حوله، ويحاول أن يجد لها تفسيرا، حتّى جاءت الأديان السماوية التي صاغت أسس التعامل مع البيئة، وأرشدت الإنسان إلى دوره في حماية البيئة.

وقد نادت الأديان السماوية بالإعداد الخلقي للإنسان، وجعلته قيمة كبرى، وأكّد الإسلام هذا المعنى بالتركيز على الأخلاق، وأنّ الأخلاق مجالها الحياة كلّها، وعلى رأسها علاقة الإنسان بربه، ثم علاقة الإنسان بنفسه، ثم علاقته بالآخر، إلى أن تصل إلى علاقة الإنسان بالمخلوقات كافة.

إنّ كلّ تصرّف إنسانيّ تجاه البيئة محكوما بنظرته لحقيقة البيئة من حيث وضعها الذي خلقه الله سبحانه وتعالى، وكذلك علاقة الإنسان بالبيئة من حيث أثر البيئة على الإنسان، وتأثيره فيها من جرّاء عمل الإنسان من صلاح أو فساد.

وفي هذا الإطار سوف نتناول موقف الشرائع السماوية من البيئة وحمايتها، وما يرتبط بها من سلوكيات وأخلاقيات، مركزين على مرتكزات حماية البيئة في الإسلام.

وسنحاول في هذا البحث دراسة مفهوم البيئة في الشرائع السماوية، مع التركيز على البعد الإسلامي لسلوكيات وتصرفات الإنسان تجاه البيئة، انطلاقا من أن قضيَّة البيئة بمشكلاتها المتعددة من تلوّث، وهدر للموارد، وإخلال بالتوازن البيئي، أصبحت من القضايا الملحة التي يتطلب دراستها من جميع الجوانب، وذلك من خلال الآتي:

1. أهمية البحث:

يكتسي هذا البحث أهميته، من كونه يعالج أحد الموضوعات المتعلقة بحقل العلوم الاجتماعية عامة والعلوم التطبيقية بصفة أخص؛ ذلك أن المعرفة لم تعد مقتصرة على علم دون آخر، وإنما أصبحت موضوعا مشتركا لكل العلوم.

2. أهداف البحث:

يدرس البحث مفهوم حماية البيئة في الشرائع السماوية والبعد الإسلامي لسلوكيات وتصرفات الإنسان تجاه البيئة؛ ساعين من وراء هذه الدراسة الوقوف على هذه الإسهامات لاستلهام دور الأديان عموما، والإسلام بصورة مكثفة في مسألة حماية البيئة، وذلك من خلال المحاور الآتية:

أولا/ مفهوم حماية البيئة في الشرائع السماوية، وسوف نتناول في هذا المحور وبشكل مقتضب موقف الشرائع السماوية من البيئة وحمايتها، وتنميتها، وما يرتبط بها من سلوكيات وأخلاقيات.

ثانيا/ الإطار العام لحماية البيئة في الإسلام، وارتباطه بالعقيدة والعبادات والمعاملات، إذ قد وضع الإسلام الإطار العام لحماية البيئة في عدد من الآيات الكريمة منها قوله تعالى: ﴿وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا﴾ النمل:84، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ القصص:77، وتحظى البيئة في الإسلام باهتمام بالغ، فقد أودع الله عز وجل فيها كلّ مقومات الحياة، لذلك أرسى الإسلام الأسس والقواعد والمبادئ التي تضبط علاقة الإنسان بالبيئة، لتتحقق من خلالها العلاقة المتوازنة التي تحمي البيئة من ناحية، وتساعد على انتظام الكون كما أراده سبحانه وتعالى من ناحية أخرى.

ثالثا/ أخلاقيات التعامل مع البيئة في الإسلام؛ إذ الاهتمام بالأخلاقيات البيئية في الفقه الإسلامي، يرتبط بنظرية المقاصد العامة للشريعة، والبيئة في الإسلام لها مفهوم واسع، فهو يعني الأرض والسماء وما فيهما، ويتميز مفهوم البيئة في الإسلام بشموليته فهو يضمّ كلّ المخلوقات، ويتمتّع الإسلام بنظرة أعمق وأوسع للبيئة، حيث يطالب الإنسان بأن يتعامل مع البيئة من منطلق أنها ملكية عامة يجب المحافظة عليها.

رابعا/ القواعد الشرعية المتصلة بالبيئة، فالفقه الإسلامي يتصل بالبيئة اتصالا وثيقا بوصفه قواعد كلية، وكثير من هذه القواعد يدخل منها في الأمور المتعلقة بالبيئة وينظمها ويحميها، ومن هذه القواعد: "قاعدة لا ضرر ولا ضرار"، و "قاعدة الضرر يزال بقدر

الإمكان" ، وقاعدة "درء المفاسد مقدم على جلب المنافع" ، وهذه القواعد الشرعية وأمثالها لها وزنها وأهميتها في الأحكام المتعلقة برعاية البيئة والحفاظ عليها في الشريعة الإسلامية.

3. إشكالية البحث:

إن موضوع البحث يتمحور حول دراسة الإشكال المتعلق بدور الأديان في حماية البيئة، وذلك من خلال محاولة الإجابة عن الأسئلة التالية:

أولا/ ما مفهوم البيئة في الأديان السماوية، وإلى أي حد تسهم الأديان في حماية البيئة؟

ثانيا/ كيف يمكن توظيف العامل الديني في حماية البيئة، وما مدى فاعلية الدور البشري في حماية البيئة؟

ثالثا/ ما الضوابط الشرعية التي تنظم تعامل الإنسان مع البيئة؟

وإذ نقدم هذا العمل المتواضع إسهاما في دراسة قضية حماية البيئة من المنظور الإسلامي، لنسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد.

البيئة في الشرائع السماوية

إن جذور المحافظة على البيئة مَغروسة في تعاليم الأديان السماوية، وكذلك في شعائر الأديان الوثنية، وتاريخ المحافظة على البيئة يرجع إلى تاريخ الحضارات القديمة، عندما ظهرت في بلاد الرافدين قوانين تحمي الغابات مِن الاستنزاف الجائر، وكذلك عندما أقرَّ المجلس الروماني قبل نحو ألفَي سنَة قانونًا يَقضي بحفظ المياه خلال فترات الجفاف(1)،ومفهوم البيئة متسعا فيشمل معاني مختلفة، ويرتبط بجميع مناحي الحياة من هواء وتربة ومعادن ومصادر طاقة بكافة صورها، وقد ظهرت حديثا مصطلحات متعددة مثل: البيئة الاجتماعية، والبيئة الثقافية، والبيئة السياسية، وغيرها(2)، والذي نقصده من مفهوم البيئة في دراستنا هذه هو الوسط أو المجال الذي يعيش فيه الإنسان فيتأثر به ويؤثر فيه.(3)

لقد نادت الأديان السماوية بالإعداد الخلقي للإنسان، وجعلت له أهمية كبرى، والأديان السماوية وغير السماوية توفر أساسا أخلاقيا مشتركا لتحمل المسؤولية لحماية البيئة، ومع من أن المعتقدات الدينية واللاهوتية والفلسفية وراء هذا الأساس تختلف، فإن الهدف والنتيجة في هذا المضمار متقاربة، ومع تعدد مصادر الأديان واختلافها فإنها تلتقي . في الغالب . حول نقطة جوهرية وهي البحث عن الخير للبشرية، وإن كانت مفاهيم هذه الأديان تختلف، وربما تتعارض حول تحديد معاني الخير والشر، والسعادة والسلام، وفي الوقت ذاته فإن المقارنة بين مدخل الأديان السماوية وغير السماوية تجاه تعليم الأتباع الأخلاق كأساس لتحمل المسئولية هو أمر بالغ الأهمية من أجل الصالح المشترك، وحماية البيئة على وجه خاص. إن الأخلاق والقوانين في الحضارات البشرية مرتبطة تمام الارتباط بالدين؛ حيث يعد الدين نظاماً رمزياً يتعلق بالوجود من جميع جوانبه ويوضّح معانيه، وبذلك فالدين هو الذي يقرر المبادئ التي تضبط العلاقات مع النظام الاجتماعي والأخلاقيات، فاندماج الدين والأخلاق والقوانين في الأصل كاملاً.

إن الحفاظ على البيئة ورعايتها واجب ديني تفرضه تعاليم الأديان، والتي تنهى جميعها عن الفساد والإفساد في الأرض، كما أنّ حماية البيئة والمحافظة عليها هو واجب اجتماعي، والمحافظة على البيئة أمر يجب أن تتكاثف من أجله جهود الجميع، لأنه يشكل أحد الأركان الأساسية ضمن جهود حركة المجتمعات الإنسانية، وهو المعول عليه في نجاح المسيرة البشرية.

والعدل ضرورة لاستقامة المجتمعات وصلاحها وبقائها واستمرارها، فهو من الفطرة السليمة، وسر السعادة في الحياة، والعدل بين الناس مطلوب شرعاً وعقلاً، ولقد أنزل سبحانه وتعالى الكتب وبعث بالأنبياء والرسل، لإقامة العدل وإحقاق الحق، وحث الإنسان على الحفاظ على ما في الكون من خيرات مسخرة لصالح البشرية، وفي ضوء هذا المشترك الإنساني فإن تفاعلا إيجابيا بين الإنسان والبيئة متحقق، وهو تفاعل شامل ومتكامل، ولا يقتصر على زمان أو مكان أو معتقد معين، وهو مكرس من أجل أن يصبح جهد الإنسان موحدا، وموظفا توظيفا حضاريا وتاريخيا، ونحن نستعرض ما ورد في الأديان السماوية من حكم ومواعظ وتشريعات، فإن مرد ذلك هو الوقوف على حقائق تاريخية، وأن اليقين أن الإسلام هو دين جميع الأنبياء والمرسلين من أولهم إلى آخرهم، وهو دين من أتبعهم من الأمم السابقة(4).

(1) السملالي، عبدالمجيد، الوجيز في قانون البيئة، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، ط1،ص 30.
(2) الفقي،م حمد عبدالقادر، البيئة مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث "رؤية اسلامية"، مكتبة ابن سينا، القاهرة، 1993م، ص18.
(3) غانم، حسين مصطفى، الإسلام وحماية البيئة من التلوث، جامعة ام القرى، مكة المكرمة، 1997م، ص12.
(4)ينظر: ابن تيمية، أحمد، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تح مجدي قاسم، ط1، 1993م،ج 2/ 32 . 35.

البيئة في الديانة اليهودية

الرسالات السماوية التي أنزلها الله عز وجل بواسطة أنبيائه، وأنزل معهم الكتب السماوية هي رسالات إصلاح للنفوس، وإظهار للحق، ولقد اعتنت الأديان السماوية عموما بسلامة وصحة الأبدان والأجسام، فشرعت الآداب الصحية ووسائل الوقاية، وحثت على الطهارة والنظافة،ومن المعلوم أن القرآن الكريم تضمن آيات كثيرة تتعلق باليهود، حيث ورد ذكرهم في القرآن الكريم تصريحا أو تلميحا في خمسين سورة(1)، وقد وردت نصوص في التوراة تدعو إلى النظافة والطهارة، لكن بعض النصوص تخالف الواقع لدى أتباع الديانة اليهودية، كما أن أفعال وأعمال عددا كبيرا من اليهود على النقيض من هذه التعاليم(2)، فمن النصوص التي تحث على النظافة والطهارة في التوراة: "إذا كان فيكم رجل ليس بطاهر من عارض الليل فليخرج إلى خارج المحلة، ولا يدخل داخلها، وعند إقبال الليل يغتسل بالماء، وعند غروب الشمس يدخل داخل المحلة".(3)

كما ورد في التوراة الأمر بالطهارة صراحة قبل مباشرة الأعمال التعبدية، ومن ذلك: "وكلم الرب موسى قائلاً، اصنع مغتسلاً من نحاس، مقعده من نحاس للغسل، واجعله بين خباء المحضر والمذبح، واجعل فيه ماءً، فيغسل هارون وبنوه منه أيديهم وأرجلهم"(4)، لكن مع هذه النصوص نجد بعض التشريعات اليهودية تحبذ النجاسات، وتعد مزاولتها نوعاً من أنواع التقرب إلى الرب، فمثلاً الدم يحمل طابعاً قدسياً عند اليهود، ولذلك يعد من أعمال التكفير، ومن أساليب تقديم القرابين من الذبائح أن يراق دم الذبيحة فيصب قسم منه على المذبح، والقسم الآخر يرش على الناس بقصد البركة.(5)

وحسب ما ورد في سفر الخروج فقد سمح الرب للبشر بزراعة الأرض، وجمع المحصول لستة سنوات متتالية، لكن بكل عام سابع أمر الرب البشر بمغادرة الحقول، حتى يستطيع الفقراء جمع ما ينمو لأنفسهم، وما تبقى قد تأكله الحيوانات البرية(6)، وهذا يدل على عدم إساءة استغلال الأرض، وكذلك رعاية الحياة البرية، وهذه الآيات تُظهر العطف والتآزر، ومراعاة البهائم والحيوانات، ومنح كل كائن الحق في حياة مناسبة من أجل بيئة نقية وطاهرة.

وتشير التوراة إلى مسائل متعلقة بالتعامل مع وسائل العيش، فاحترام الحياة يملي مراعاة معايير الأمان والسلامة، وعدم المخاطرة بالحياة، فقد ورد في سفر التثنية: "إذا بنيت بيتا جديدا فاصنع حائطا لسطحك، لئلا تجعل ذنب سفك الدم على بيتك إذا سقط عنه ساقط"(7)، وتعتبر التوراة حياة الحيوان مقدسة، ولا يجوز ذبح الحيوان إلا بقصد الحصول على الطعام أو الثياب، وهذه الصور الواردة في التوراة تحمل معاني متعلقة بمراعاة حياة الإنسان والحيوان، وهو شكل من أشكال صون البيئة.

(1) دروزة، محمد عزة، اليهود في القرآن الكريم، المكتب الإسلامي، القاهرة، ص3.
(2) الصالح، محمد أديب، اليهود في القرآن والسنة، دار الهدى للنشر والتوزيع، ط1، الرياض، 1993م،ص 19.
(3) سفر التثنية 23 : 10.
(4) سفر اللاويين 22 : 5.
(5) سفر اللاويين 17 : 3 . 6.
(6) سفر الخروج 23 : 10 . 12.
(7) سفر التثنية 22: 8.

البيئة في الديانة النصرانية

تضمن الإنجيل عظات وتعاليم متعددة حول البيئة، وما يرتبط بها من أخلاقيات وسلوكيات، ويجدر التذكير بأنه في تناولنا لمصادر أهل الكتاب، فإننا نشير إلى المصادر المعتبرة لديهم، واليقين الراسخ أن الإنجيل الحق هو الذي نطق به عيسى عليه السلام، وأن الأناجيل المتداولة ليست الإنجيل المنزل من عند الله تعالى(1)، وقصد الرب للأرض كما يؤمن به النصارى هو أن تمتلئ الأرض بأشخاص سعداء وأصحاء(2)، و"أن الرب غرس جنة في عدن، وأنه أنبت كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل، وبعد أن خلق الرجل والمرأة الأولين، آدم وحواء، وضعهما في هذا الموطن الجميل، وقال لهما، أثمرا وأكثرا"(3)، ووفقا لهذه الآية فإن الرب خلق الإنسان من أجل إكثار النسل والحفاظ على الأرض، والاعتناء بالمخلوقات(4)، وتشير المواقف والآيات الواردة في الإنجيل علي أن المسؤولية تقع على عاتق الجميع في الحفاظِ على البيئةِ نقيةً طاهرةً وصافيةً، وأنه بجانب الملوثات البيئية المادية، يوجد التلوثَ الفكري، وأن التلوث الفكري هو الذي سببَ التلوثَ المادي، وأن الاستعمال الخاطئ لموارد البيئةِ، وهو ينتج عنه هدر الثروات الطبيعية وإبادة الكائناتِ الحيةِ، وأن الاستخدامِ الخاطئ للتكنولوجيا يلحق أضرارا بالإنسان، وبمخلوقات الله التي خلقها لصالحه ونفعه، فحوّلها إلى طرق غير شرعية، بدلا من أن يستثمرها لما ينفعهُ وينفع الآخرينَ، كما جاء في سفر كورنثوس الأول: "كل الأشياء تحلُّ لي ولكن ليس كلُّ الأشياءِ توافق، كلُّ الأشياء تحلُّ لي ولكن لا شيء يتسلط عليّ"(5)، وعن التأمل في الطبيعة يلفت الإنجيل الأنظار نحو طيور السماء كيف يُقوّيها الله، وإلى زنابق الحقل، وإن كان الله يهتم بالطيور والعشب، فكم بالحرّي أن يهتم بعباده(6) ، ويوجه الإنجيل نحو محبة الله التي تتجسد في محبة القريب، لذلك يجب أن يسعى الإنسان للسلام والمصالحةِ مع نفسه، ومع الله، ومع الآخرين، ومع البيئة التي يعيش فيها، وهذه المصالحةُ تتجسد من خلال أعماله الصالحةِ وإيمانِه الحقيقي.

إن الصورة المثالية للإنسان في الإنجيل تتجسد في كون الإنسان مخلوقا حرا، له كامل الحريةِ والإرادةِ بأن يسعى نحو الخيرِ، أو يميلَ نحو الشرِ، فعندما مال الإنسانُ بملءِ إرادته نحو الشر، واتجهَ نحو الخطيئةِ التي فصلته عن علاقته مع الرب، ومع الآخرين، فأفسد الشر طبيعته(7)، وفي هذا الصدد نشير إلى أنَّ أي منهج للحياة مهما كان نصيبه من المثالية والصحة النظرية فسيبقى مجرد أفكار ورؤى، ما لم يكن له نموذج واقعي يشهد بصحته ونجاحه في تحقيق الغايات التي تأملها المجتمعات البشرية وتسعى جاهدة لتحصيلها، ومن هنا فإن المنهج الناجح هو الذي يتسم بواقعيته ومراعاته للطبيعة البشرية، وبعده عن الإيغال في المثالية، وتجسيده لأمثلة صالحة للتطبيق.

(1)الهندي ،رحمة الله، إظهار الحق، دار إحياء التراث الإسلامي، الدوحة، 2005م، ص192.
(2) إصدار جماعة شهود يهوه، ماذا يعلم الكتاب المقدس حقا، نيويورك، 2005م، ص27.
(3) سفر التكوين 1: 28.
(4) إصدار جماعة شهود يهوه، مرجع سابق، ص27.
(5) سفركورنثوس الأول 6: 12.
(6) سفر متى 6 : 26.
(7)سفر التكوين 6: 5 .

مفهوم البيئة في الإسلام

مفهوم الإسلام للبيئة يتضمن الأرض والسماء وما فيهما من مخلوقات، بما فيها الإنسان وما يحيط به من موجودات، ولم يستخدم مصطلح "بيئة" في القرآن الكريم أو السنة النبوية للدلالة على المعنى الإصطلاحي المتداول حديثا، والكلمة المرادفة في الشريعة الإسلامية هي مصطلح "الأرض"(1)،وأن الآيات القرآنية التي تناولت مسائل متعلقة بالبيئة دلت على لفظ البيئة معنى لا نصا(2)، ويتميز مفهوم البيئة في الإسلام بالشمولية؛ فهو يضمّ كلّ مخلوقات الله من إنس وجان وبحار وأنهار وجبال ونبات وحيوانات، وإن هذه المخلوقات سخّرها الله سبحانه وتعالى للإنسان، ويتمتّع الإسلام بنظرة أعمق وأوسع للبيئة، حيث يطالب الإنسان أن يتعامل مع البيئة من منطلق أنها ملكية عامة يجب المحافظة عليها، قال تعالى: ﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ الأعراف: 85، وخلق الله سبحانه وتعالى كل شيء على الأرض وفي السماوات، بما في ذلك جميع المخلوقات ليسخرها الإنسان لمنافعه، وخلق سبحانه وتعالى الإنسان ليعبده، وينبغي للمرء أن يتذكر الله سبحانه وتعالى وعظمته ورحمته ونعمته على الإنسان، ويسعى للحفاظ عليها، قال تعالى:﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ ق: 7 . 8 ،وامتثالا لهذه الآية الكريمة فإن حماية البيئة، والعمل لتحقيق الصالح العام، هو طريقة وشكل من أشكال عبادة الله، ذلك أن البيئة هي المحيط الطبيعي الذي يكتنف مخلوقات الله حية وغير حية، وما ينظم هذه المخلوقات من علاقات تفاعل وتكامل في إطار السنن الكونية والنواميس الإلهية التي تعد ميزانا ضابطا لتصرفات المستخلف في التسخير والتعمير.(3)

إن المتأمل في القرآن الكريم والسنة النبوية يدرك اشتمالهما على ألفاظ وعبارات ترشد إلى معان متعلقة بالبيئة من حيث خلق الكائنات التي بثها الله سبحانه وتعالى في الكون أو على الأرض، وهي البيئة الطبيعية بمكوناتها التي أودعها الله فيها(4)،وقد اعتنى الإسلام بالبيئة عنايةً خاصةً، باعتبارها المحل الذي يقيم فيه الإنسان، ويحصل منه على احتياجاته، ويؤدي فيه عبادته، ويمارس فيه أعماله التي تعينه على مواجهة متطلبات الحياة.

ومن الوسائل التي حرص عليها الإسلام في حفظ البيئة العناية بالنظافة، فالنظافة في الإسلام فريضة، وكتب الفقه الإسلامي دائما تبرز الحديث عن الطهارة، فطهارة البدن والثوب والمكان هي شرط من شروط صحة الصلاة، وهذه إشارة إلى السلوك الذي يجب أن يكون عليه المسلم في الصلاة وخارج الصلاة، فالنظافة هي عنوانه الدائم، ولذلك دعا النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى العناية بنظافة الجسد فحث على التطهر والاغتسال، وأمر بالمحافظة على خصال الفطرة التي تقوم عليها النظافة الشخصية عموما، والطهارة في الإسلام تكون طهارة مادية، وكذلك تكون طهارة معنوية، فالطهارة المادية أو الحسية تكون بغسل الثوب من النجاسة، والطهارة المعنوية تعني تطهير القلب وتخليصه من الآثام والأدناس.(5)

(1) غانم، حسين مصطفى، المرجع السابق، ص 13.
(2) سلامة، أحمد عبدالكريم، قانون حماية البيئة الإسلامي، دار النهضة العربية، ط1، القاهرة، ص 24.
(3) الريسوني ،قطب، المحافظة على البيئة من منظور إسلامي، دار ابن حزم، ط1، 2008، ص 28.
(4)حشيش، أحمد محمد، المفهوم القانوني للبيئة في ضوء أسلمة القانون المعاصر، دار الفكر المعاصر، الإسكندرية، 2001م، ص35.
(5) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، تح. هشام البخاري، دار علم الكتب، 19 / 66.

حماية البيئة في القرآن الكريم

يهدف الإسلام إلى إقامة مجتمع نقي طاهر في الشكل والجوهر، وسبيله إلى ذلك إيمان يقيني صادق، وطهارة روحية، وعبادة لله وحده.

وممعن النظر في آيات القرآن الكريم يجد أن مفهوم البيئة يتناول مكونات البيئة المختلفة من أرض وما تشمله من كائنات مختلفة، واهتمام الإسلام بالبيئة يظهر صنع الله وإتقانه قال تعالى:﴿**صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ النمل88، وهذه الآية الكريمة تبرز المعاني الرفيعة التي ترتقي إلى أعلى الدرجات من الإيمان واليقين، وذلك حين يحث القرآن الكريم الإنسان بالنظر في الكون، والتفكر في صنعه، للوصول إلى إدراك عظمة الخالق سبحانه وتعالى، والإيمان به، والتسليم بقدرته وتفرده في صنع الكون وتسييره.

وفي هذا الإطار حثت الآيات القرآنية الكريمة علي صون البيئة وحمايتها، وهو واجب ديني أمر الله سبحانه وتعالي به، وذلك بالمحافظة علي الأرض وما بها من خيرات قال تعالي: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ**﴾النحل:10.

وقد أمر سبحانه وتعالي بالتعامل مع البيئة تعاملا رشيدا، والمحافظة على ما تحتويه من ثروات وموارد ومكونات، قال تعالي: ﴿**وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ المُحْسِنِينَ**﴾الأعراف:56،وقال تعالي:﴿**وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ**﴾البقرة:211.

والله سبحانه وتعالي جعل الأرض أمانة، وتستوجب الأمانة حمايتها والمحافظة عليها، قال تعالي:﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُور**"الملك:15، أي أن الله سبحانه وتعالي سخر لكم الأرض وذللها؛ لتدركوا منها كل ما تعلقت به حاجتكم من حرث وغرس وبناء.

وحرص الإسلام علي تجنب الضوضاء والتلوث السمعي والتزام الهدوء والسكينة، قال تعالي:﴿**وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ**﴾ لقمان:19، ومن الهدي القرآني الذي يحث على التوازن البيئي قوله تعالى:﴿**وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ** ﴾ الحجر:19 حيث تشير هذه الآية الكريمة إلى أن الله سبحانه وتعالى بعد أن خلق الأرض سهلها وبسطها، وثبتها بالجبال، ثم أنبت فيها جلت قدرته من كل شيء بوزن وقدر، ومن الثوابت المقررة في القرآن الكريم التي تنظم سير الحياة عموما، ومن أبرزها انتظام الكون، الآيات القرآنية التي تنهى عن الفساد، وعلى الأخص الإفساد عن طريق سوء الاستخدام أو التلوث أو غيرها، قال تعالى:﴿**وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ**" البقرة:205، وقال تعالى:﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ** ﴾ القصص:77 ، وقال تعالى:" وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ" هود:85.

ومن خلال سرد هذه النماذج من الآيات القرآنية الكريمة يتبين حقيقة اهتمام الإسلام بالبيئة والمحافظة عليها، وأن الله سبحانه وتعالى خلق الكون لفائدة الإنسان وسخره لمصلحته، وينبغي على الإنسان الاعتدال في استعمال ما وهبه له الخالق تبارك وتعالى من نعم ظاهرة وباطنة، وعدم الإسراف والتبذير، قال تعالى: ﴿**كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾ البقرة:60.

حماية البيئة في السنة النبوية الشريفة

حث الرسول صلي الله عليه وسلم على جميع أنواع الطهارة، بداية من إماطة الأذى عن الطريق، والذي يشمل كل أنواع الأذى، وجعل إماطة الأذى من الإيمان، كما قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: "الإيمان بِضع وستّون . أو قال: . بضع وسبعون شعبة، فأعلاها قولُ: لا إله إلا الله، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان"(1)، كما جعل صلي الله عليه وسلم كف الأذى من حقوق الطريق، "فعن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال :(إياكم والجلوسَ في الطرقات)، فقالوا: يا رسول الله، ما لنا من مجالسنا بُدٌّ، نتحدث فيها، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم :(فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه)".(2)

واهتمت السنة النبوية اهتماما بالغا بالغرس والتشجير وتجهيز الأرض، فقد قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: "**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا ، إِلَّا كَانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةً** "(3)،والإسلام يحث علي الاهتمام بالبيئة، ولو كان ذلك في آخر رمق من الحياة، ويبرز هذا الأمر حديث النبي صلي الله عليه وسلم الذي رواه الشيخان في صحيحيهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال صلي الله عليه وسلم :"إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا"(4)، وفي ذات الوقت تبين الشريعة الإسلامية أبجديات التعامل الصحي، وأسس الحفاظ على الصحة، مثل أمر النبي صلي الله عليه وسلم بتغطية الإناء، وإيكاء الأسقية،وتحذيره من ترك آنية الطعام والشراب مكشوفة عرضة للهواء والحشرات الناقلة للأمراض؛ مما يرتب حدوث الأوبئة والأمراض الضارة بالفرد والمجتمع،**قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أطفئوا المصابيح بالليل إذا رقدتم وغلقوا الأبواب وأوكوا الأسقية وخمروا الطعام والشراب**".(5)

وللرسول صلى الله عليه وسلم إرشادات قيمة فيها ما يحفظ للإنسان صحته وعافيته، وتحفظ تبعا لذلك المجتمع والبيئة، فمثلاً نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتنفس الشارب في الماء بقوله: "إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء"(6)، لأن هواء الزفير يلوثه ويفسده، وسن للشارب تقطيع الشرب إلى ثلاث دفعات، يتنفس في نهاية كل منها، ومن مظاهر هديه في حماية البيئة نهيه صلى الله عليه وسلم بأن لا يتطاول الجار على جاره في البنيان حتى لا يحجب عنه الهواء والشمس، وهما من أسباب الصحة ووسائل المحافظة على البيئة.

إن هذه صور من هدي الرسول صلى الله عليه وسلم في مجال الصحة والوقاية، والترغيب في النظافة والتجميل، والتحذير من القذارة والتفحش، وإن الاكتشافات الحديثة التي توصل إليها العلماء في مضمار الطب تثبت صحة ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من إرشادات في حفظ الصحة وتوفير العافية، وتأمين سلامة المجتمع والبيئة.

(1) أخرجه البخاري في الإيمان (9)، ومسلم في الإيمان (35) عن أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ لمسلم.
(2) أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، رقم (6229)، ومسلم، كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن الجلوس في الطرقات، رقم (2121).
(3) صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع، حديث (2908).
(4)أخرجه البخاري في "الأدب المفرد" حديث رقم (479، وفيمسند الإمام أحمد، حديث رقم (12902).
(5)أخرجه البخاري ، كتاب الاستئذان، باب إغلاق الأبواب بالليل، حديث رقم (5938).
(6)أخرجه البخاري حديث رقم (149)، ومسلم حديث رقم (3780).

وسائل الإسلام في الحفاظ على البيئة

جعل الإسلام النظافة أمراً تعبدياً فلا يستطيع أي قانون وضعي أن يكون له وازع أو رادع مثله؛فالنظافة مفتاح وطريق لركن من أهم أركان الإسلام، فالصلاة التي هي عماد الدين لا تقبل من العبد إلا إذا تطهر لها، وأزال عن جسمه وثوبه ومكانه النجاسات التي تعتبر المصدر الأول للجراثيم، والسبيل الممهد للأمراض والأوبئة، فالوضوء شرط في صحة الصلاة، وطهارة الثوب واجبة، كما أن طهارة المكان ينبغي أن تتحقق، فإذا توفرت هذه الشروط فالصلاة صحيحة، وبتوفرها يتحقق الهدف منها، والذي منه حفظ الصحة والوقاية من الأمراض، ولعل نظرة في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة تبين ذلك، ومنها قوله تعالى:﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾الأعراف:29 ، وقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ البقرة:220 ، أما الأحاديث النبوية الشريفة فهي كثيرة، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: " لاَ تُقْبَلُ صَلاَةٌ بِغَيْرِ طُهُورٍ وَلاَ صَدَقَةٌ مِنْ غُلُولٍ"(1).

واهتم الإسلام بصحة أجهزة البدن، فحذر من مغبة النهم والأكل الكثير، وإدخال الطعام على الطعام، فقال صلى الله عليه وسلم: "مَا ملأَ آدمِيٌّ وِعَاءً شَرّاً مِنْ بَطنِه، بِحسْبِ ابن آدمَ أُكُلاتٌ يُقِمْنَ صُلْبُهُ، فإِنْ كَانَ لا مَحالَةَ، فَثلُثٌ لطَعَامِهِ، وثُلُثٌ لِشرابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِه"(2)، وشرع الإسلام الوقاية من الأمراض الوبائية والقابلة للعدوى، فقال صلى الله عليه وسلم: "إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها".(3)

ومن وسائل الإسلام في الحفاظ على البيئة:

1/ طهارة البدن: إن الاغتسال والتطهر من الأمور الأساسية في العبادات وهو امتثال لأوامر الله تعالى، وشرع الإسلام أنواعا من الغسل، كغسل الجمعة والعيدين والجنابة وغيرها، كما أن الوضوء شرط للصلاة، والمسلم يحقق الطهارة في جسده بالنظافة والاغتسال، وذلك من شأنه أن يجعل المسلم متميزاً في نظافته، كما تدعو أحكام الشريعة الإسلامية إلى التنزه عن البول والغائط كما في الحديث المتفق عليه: "إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير، أما هذا فكان لا يستنزه من بوله وأما هذا فكان يمشي بين الناس بالنميمة"(4)، ودعا الإسلام إلى طهارة البدن و كل ما يتعلق به، واعتبرها من الفطرة السليمة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظافر، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء" قال الراوي: نسيت العاشرة، إلا أن تكون المضمضة.(5)

(1) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم(224).
(2)سنن الترمذي وقال: حديث حسن، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، حديث رقم(5675).
(3) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، حديث رقم 5396.
(4) سنن أبي داوود، كتاب الطهارة، باب الإستبراء من البول.
(5) سنن الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في تقليم الأظافر، حديث رقم 2757.

وفي هذا الإطار نتناول الجانب العلمي للوقاية من الآفات والأمراض، إذ لم يكن معلومًا وجود أعداد هائلة من الميكروبات حتى تمكن الإنسان من اكتشاف المجاهر في القرن الثامن عشر، وتم معرفة أنواعا كثيرة من الجراثيم، وتتكاثر هذه الجراثيم بصورة مستمرة، وللتخلص منها ينبغي الغسل باستمرار، وهي الوسيلة للوقاية من الأمراض التي أمرت الشريعة الإسلامية بها.

فالطهارة فيها ضمان النظافة المستمرة لجسم المسلم، ومن ثم حماية الجسم من الجراثيم والآفات، وأن مجرد استعمال الماء النظيف في غسل اليدين يزيل نسبة عالية من الميكروبات، وأن غسل القدمين خمس مرات في اليوم أثناء الوضوء مع تخليل الأصابع بالماء، يقلل الإصابة الجرثومية، ويزيد كفاءة الدورة الدموية بالتدليك، وأن خلع الحذاء عدة مرات في اليوم، واندفاع الدم في القدمين يقلل وقوع التقرحات والأمراض الجلدية، فهذه الفوائد تتحقق بالاغتسال أو الوضوء لأنه يتكرر يوميًا، فكيف بالوضوء والغسل لمرات عديدة، وبنظافة الجسم والثياب والمكان بصفة مستمرة ولعدة مرات بصورة دائمة، فالوضوء يعمل على تنشيط الجسم وتقويته وتجعل الإنسان يعتاد النظافة التي تعتبر من ضروريات الحياة(1).

لقد حرص الإسلام على نظافة الجسم فقد بينت الشريعة الإسلامية أحكام الوضوء والاغتسال والتي مناطها نظافة الجلد، فجلد الإنسان يحتوي أعدادًا من الجراثيم لا يمكن حصرها حيث يشبه العلماء جسم الإنسان بما عليه من أنواع الجراثيم والبكتيريا والفيروسات والفطريات والطفيليات، وما بينها من عداوات وحروب، وما لها من أشكال وأنواع، بالكرة الأرضية بما عليها من مخلوقات، وما بينها من اختلافات ونزاعات، وبما أن الجراثيم لا تقف لحظة عن التكاثر فلا بد من إزالتها بشكل دوري ومستمر لتبقى أعدادها قليلة بحيث يستطيع الجسم مجابهتها(2).

واهتمت الشريعة الإسلامية اهتمامًا شديدًا بنظافة الفم والأسنان، حيث تستقر في فم الإنسان أعدادٌ وأنواعٌ كثيرة من الجراثيم، وهي تتغذى على بقايا الطعام بين الأسنان، وينتج عن نموها وتكاثرها أحماضا كثيرة تؤثر على الفم ورائحته، وعلى لون الأسنان وأدائها، فإذا لم تتم إزالة هذه الجراثيم عدة مرات في اليوم فإنها تسبب التسوس وأمراض اللثة، ولذلك شدد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على استعمال السواك فقال: "لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك قبل كل صلاة"(3). وقد أثبت العلم أن التسوس يحدث نتيجة عدة عوامل منها فضلات الطعام ووجود الجراثيم، لذلك سن الإسلام السواك الذي ثبت أن له أثرًا فعالاً في الحفاظ على الأسنان، فإنه يزيل الجراثيم ويقتل بعضها كيميائيًا، كما كشفت البحوث الطبية الأهمية البالغة لتقليم الأظافر، وما يترتب على إهمالها من أضرار فترك الأظافر مجلبة للمرض، حيث تتجمع تحتها ملايين الخلايا الجرثومية التي تسبب في نقل الأمراض، ولهذا السبب حث الإسلام على الطهارة وجعلها أمرًا تعبديًا.

1 الدمنهوري، عاشور بريك، أحكام العبادات، دار الأفاق الجديدة، الدار البيضاء، 1990م، ص 29.
2 ينظر: HTTP://WWW.DPNFTS5NBRDPS.CLOUDFRONT.NET/APP/MEDIA/408
3 صحيح مسلم 1 / 220.

2/ طهارة الثوب: أمر الإسلام بنظافة ما يرتديه الإنسان من ثياب، وهذا جلي وواضح؛ فقد كان من أوائل ما نزل من القرآن الكريم قوله تعالى: "**وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**" بعد أن قال سبحانه وتعالى "وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ"، فقرن سبحانه وتعالى التوحيد بنظافة الثوب، ويعتبر الإسلام الثوب نجساً بمجرد وصول شيء من النجاسة إليه، والثوب لا تصح الصلاة فيه إلا أن يكون طاهراً، وأجمع العلماء على أن الماء القليل والكثير إذا وقعت فيه نجاسة فغيرت لونه أو طعمه أو ريحه فهو نجس، وبالتالي فالمسلم دوماً ينزه ملابسه أن تقع عليها نجاسة.

ويدعو الإسلام إلى الأخذ بالزينة عند كل مسجد، فلا ترتاد المساجد الا بأجود المظاهر، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر أصحابه بالنظافة وجمال الهيئة، وطيب الرائحة، فقد قال لجماعة من أصحابه قادمين من سفر: "إنكم قادمون على إخوانكم، فاصلحوا رحالكم، واصلحوا لباسكم، حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس، فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش".(1).

3 / طهارة المكان: حث الإسلام على نظافة الطرقات والأماكن الخاصة والمرافق العامة، حيث لا تقتصر عناية الإسلام بالنظافة على نظافة الجسد فحسب، بل اتسعت الدائرة لتشمل نظافة البيوت والطرقات والأماكن العامة؛ ووردت في ذلك نصوص عامة في القرآن الكريم مثل قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ". البقرة: 222

وتستهدف دعوة الإسلام إلى نظافة الأماكن المحافظة على الصحة العامة؛ لأن تراكم الأوساخ يعطي الحشرات والجراثيم مجالاً رحبًا للانتشار والتكاثر فضلاً عن انبعاث الروائح الكريهة، وتجعل المكان غير صحي (2)، وقد ارتبطت نظافة البيئة في الإسلام ارتباطًا مباشرًا بالطهارة سواء طهارة البدن، أو طهارة المكان والتي تشمل المساجد والمرافق العامة، فالمساجد هي البيوت المعدة لأداء الصلاة ولاجتماع المسلمين لطلب العلم والتفقه في الدين، ولذلك كان واجب الاعتناء بها والمحافظة على نظافتها(3).

(1) مسند أحمد، رقم الحديث 4 / 180.
(2) أرناؤوط،محمَّد السيد، التلوث البيئي وأثره على صحة الإنسان، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2007م، ص232.
(3)أرناؤوط،محمَّد السيد، المرجع السابق، ص 234.

البيئة وارتباطها بنظرية المقاصد العامة للشريعة

إن الاهتمام بالبيئة في الفقه الإسلامي، يرتبط بنظرية المقاصد العامة للشريعة، وما تحمل هذه المقاصد من مراتب وأولويات، وإن مسئولية الإنسان ليست تجاه الآخر فقط، بل المسئولية أمام الله سبحانه وتعالى عن الموارد الطبيعية وكل ما يحيط بالإنسان من كائنات وموجودات؛انطلاقا من التوجيه النبوي بعدم الإسراف في الماء ولو للوضوء، والأمر بالرحمة حتى بالحيوانات، والتواصل مع كل مكونات الكون من نبات وجماد وكافة المخلوقات، وأكدت الشريعة الإسلامية في أحكامها المتعلقة بالبيئة على حقيقة الترابط القوي والفعال بين مكوناتها، فالهواء يحمل الماء، والماء ينزل على الأرض فيخرج النبات الذي يتغذى عليه الإنسان والحيوان.

إن مقاصد الشريعة الإسلامية هي المنطلق الرئيس لإنسانية الإنسان؛ ففي العمل بهذه المقاصد تتحقق للإنسان الغايات التي من أجلها خلق الله سبحانه وتعالى الكون وما فيه من كائنات، والإسلام يضمن الالتزام بالقواعد والنظم عبر إدماجها في السلوكيات والآداب اليومية الفردية والجماعية في العبادات والمعاملات بشكل طوعي وإرادي، وإن من أعظم قيم الإسلام السلوك العملي، والحرص على الثبات على القيم والأخلاق؛ فقيم الإسلام تدعو بالسلوك قبل القول، والإيمان كما هو معلوم ما وقر في القلب وصدقه العمل، لذا فإن التزام المسلم، وحرصه الشديد على أدائها على أكمل وجه ومراقبة الله في ذلك، وحسن تعامله مع غيره من أعظم الوسائل التي تقررها الشريعة الإسلامية في التعامل مع الإنسان وغير الإنسان، ومن أبرزها موضوع دراستنا وهو صون البيئة ورعايتها.

إن حماية البيئة تعتبر من المصالح المقررة في الشريعة الإسلامية، وهي تعد من أقوى المصالح المعتبرة، لأنها تتعلق بواحدة أو أكثر من الكليات الخمس من حفظ الدين والنفس والنسل والعقل والمال، والتي ينبغي مراعاتها، يذكر الإمام الشاطبي أن المصلحة التي تلائم تصرفات الشرع لها دلالة النص، اذ أن المجتهد إذا تتبع معنى عاما من أدلة خاصة واطرد له ذلك المعنى فانه يحكم به دون التفات إلى قياس أو غيره، ومبنى ذلك أن المصلحة وإن كان لا يشهد لها نص جزئي، معين فإنه يشهد لها نص كلي، والأصل الكلي إذا كان قطعيا قد يساوي الأصل المعين(1)، وقد ثبت أن المصالح الضرورية متفق على الاحتجاج بها، وصون الأرض وما فيها من كائنات بهذا الاعتبار مصلحة ضرورية، لأن الاعتداء عليها اعتداء على النفس والمال اللذان هما من المقومات الأساسية للحياة، ولأن في هذا الاعتداء اعتداء على المصالح المعتبرة في كل الشرائع(2)، وبهذا الاعتبار فإن نظرة الإسلام إلى البيئة تتمثل في حقائق مرتبطة بنظرية المقاصد العامة، وأنه إذا كان فهم الأحكام ومعرفة منشئها أمرا لا مناص منه، فإن الاجتهاد في تنزيلها لا يقل عنه ضرورة، لأنه بارتباط الاجتهاد بالواقع تتحقق شمولية الشريعة، ويستدام صلاح الكون بصلاح المهيمن عليه الذي هو الإنسان(3)، والشريعة الإسلامية وضعت تصوراً شاملاً للبيئة شمل الإنسان والحيوان والنبات والجماد والماء والهواء، وجعلت الإنسان مكرماً على جميع المخلوقات والتي سخرها سبحانه وتعالى لخدمته.

(1) الشاطبي، أبو إسحاق موسى بن إبراهيم، الموافقات، تح عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت، ، 40/2.
(2) الشاطبي، المصدر نفسه، 2/ 10.
(3) ابن عاشور، محمد الطاهر، مقاصد الشريعة الإسلامية، تح محمد الميساوي، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان، 2001م، ص 273.

وقد نظر الإسلام إلى البيئة عملا بقاعدة استخلاف الإنسان في عمارة الكون؛ وإن مفهوم الحماية في الشريعة الإسلامية واسع جداً، يشمل استكشاف الموارد، واستثمارها بأنجح السبل لتؤتي منافعها، كما يشمل التنمية، والتي من مفهومها التحسين والتطوير، فضلاً عن شمولها للحفظ الذي يعني استمرارية الحياة.

إن موقع الإنسان في هذا الكون يحدّد له الدور الذي ينبغي له القيام به لتحقيق المهمّة التي أنيطت به، فالإنسان خليفة مؤتمن، قال تعالى: "إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا" الأحزاب: 72، فالخلافة تلزم الإنسان بالمحافظة على الكون المستخلَف فيه حتَّى يؤدِّي الأمانة التي حملها، ولتحقيق هذه السيادة سخر سبحانه وتعالى له كل شيء على الأرض حتَّى يتمكن من أداء الأمانة.

إن نظرة الإسلام إلى البيئة نابعة من التصور الشامل للإنسان والكون والحياة، وإن أي خلل في التصوّر ينعكس فساداً في السلوك، فالإسلام ينظر إلى الإنسان على أنَّه سيّد هذا الكون، وكل ما في الكون مخلوق من أجله ومسخر له لكونه الخليفة المؤتمن، قال تعالى: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ" البقرة:30، وقال تعالى: "إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ" ص :71-72، وقال تعالى: "وابتغ فيما ءاتاك الله الدار الأخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين" القصص:77.

ولن يكون الإنسان جديرا بحمل أمانة الخلافة إذا أساء استعمال هذه النعم التي تتكون منها عناصر البيئة، أو تصرف فيها على نحو غير مشروع؛ فالخلافة تعني عمارة الأرض بإشاعة الخير والسلام فيها، وبالعمل على إظهار عظمة الخالق وقدرته عن طريق الانتفاع بكل المخلوقات التي سخرها الله لخدمة الإنسان(1)، ويتجلى ذلك في قوله تعالى: "هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا"، وتشير هذه الآية الكريمة إلى أن الله سبحانه وتعالى خلق بني آدم ليكونوا عمارا يعمرون الأرض ويسكنون بها، وهذا لا يتأتى إلاّ بإبقاء الصالح على صلاحه، وعدم إفساده، وإصلاح ما يفسد ورعايته، وأن في هذين الأمرين خير ضمان لحماية البيئة وسلامتها، وتحقيق التنمية واستدامتها، وحماية البيئة في الشريعة الإسلامية أمانة ومسئولية يتطلبها الإيمان، وتقتضيها طبيعة الاستخلاف في الأرض، وإذا كان من ثمرات الإيمان الصادق وآثاره إخلاص العبادة لله وحده، فإن من ثمراتها أيضاً القيام بالتكاليف الشرعية، والتي تشمل رعاية البيئة والمحافظة عليها كما خلقها الله سبحانه وتعالى رحمة بالمخلوقات.(2)

(1)الأصفهاني، الراغب، الذريعة إلى مكارم الشريعة، مراجعة وتقديم طه عبدالرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1973م، ص 29.
(2)مرسي، محمّد، الإسلام والبيئة، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض،1999م، ص65.64.

القواعد الشرعية المتصلة بالبيئة

الفقه الإسلامي لا يتصل بالبيئة بوصفه أحكاما فحسب، بل يتصل بالبيئة اتصالا وثيقا بوصفه قواعد كلية، فكثير من هذه القواعد يدخل منها في أمر البيئة وينظمها ويحميها ويوفر لها الرعاية.

إن الفقه الإسلامي تناول بالتنظيم والتأصيل أنواعا من العقود تتصل باستثمار الأرض والانتفاع بها، مِمَّا يعد دليلاً على أن الإسلام قد أولى عناية كبيرة بهذه الموارد الطبيعية ليستفيد الإنسان من الأرض إعمارا وزراعة وغرساً، كما أرست الشريعة الإسلامية مبدأ سد الذرائع، تقييداً للتعامل مع البيئة بما يدرأ عنها المفسدة من جراء التصرفات السيئة والاستخدام غير الرشيد، وهو مبدأ له الأثر الفاعل في توثيق مصالح الأمة مادياً ومعنوياً بما يشمل موارد البيئة الطبيعية، فيندرج تحت مضمون هذا المفهوم الحفاظ علي البيئة، والإسلام جاء ليحفظ الفرد ويحميه، ويحفظ المجتمع، ولذلك وضع الضوابط والقيود لحماية الكون، ولقد تفرد الإسلام بذلك التوازن البديع بين الإيمان بالسنن والنواميس، والعلل والأسباب، وارتباط النتائج بها.(1)

إن الإسلام يملك رؤية شاملة للوجود وللإنسان وللحياة؛ و قامت على أساس رؤيته تلك حضارة عالمية، وتكوّنت منه ثقافة تسهم مساهمة ثريّة في معالجة قضايا البيئة على وجه من الشّمول والتّكامل، وما من شأنه أن يدفع إلى إنضاج الفكر البيئي في معالجة تلك القضايا، والثقافة الإسلامية تملك تصوّرا عميقا للبيئة من حيث وضعها الوجودي، وذلك في نطاق الرّؤية العقدية للوجود كلّه، ففي ذلك التّصوّر تحديد لمصير تلك البيئة وتحديد لأبعادها الرّوحية والماديّة، وفي تعاليم الاسلام بيان لعلاقة الإنسان بالبيئة روحيا ومادّيا، وذلك من حيث التّرابط بينهما، ومن حيث تبادل التّأثّر والتّأثير، وفي هذا التّصوّر توجيه عملي لتعامل الإنسان مع البيئة، وذلك فيما يتعلّق بنشاطه فيها من أجل الانتفاع بمرافقها، أو فيما يتعلّق بالحفاظ عليها من أن ينالها الفساد، ومن أشهر القواعد الفقهية المتصلة بالبيئة: قاعدة "لا ضرر ولا ضرار"؛وهي قاعدة كلية تنبثق منها قواعد فرعية، ويقصد بالضرر إلحاق مفسدة بالآخرين، ويقصد بالضرار مقابلة الضرر بالضرر(2)، ويتفرع عن هذه القاعدة قواعد جزئية شتى قررها الفقهاء مثل: المشقة تجلب التيسير، الضرر يزال بقدر الإمكان، والضرر لا يزال بضرر مثله، ويتحمل الضرر الأدنى لدفع الضرر الأعلى، ويتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام، والضرر الأشد يزال بالضرر الأخف، وإذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمها ضررا بارتكاب أخفهما، ويختار أهون الشرين، ودرء المفاسد مقدم على جلب المنافع(3).

إن هذه القاعدة الكلية وما يتفرع عنها من قواعد فرعيه لها صلة وثيقة بحماية البيئة ورعايتها، من حيث مراعاة المنافع والمرافق العامة والخاصة، ودفع الضرر قبل وقوعه، ورفع الضرر وترميم آثاره بعد الوقوع، فتزال كل أنواع التعدي على الطرق والمسارات التي تشكل ضررا، ويمنع المالك من التصرف في ملكه تصرفا يضر بغيره، بهذا نجد الشريعة الإسلامية تحرص علي حماية البيئة ومكوناتها، وتنهى عن الإضرار بها بأي شيء، فإن الضرر في الإسلام محرم في جميع صوره وأشكاله، وهذه القواعد وأمثالها، وهي كثيرة ولها وزنها وأهميتها في رعاية البيئة والحفاظ عليها.

(1) العالم، يوسف، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، دار الحديث، القاهرة، 1992م ص2.
(2) الزحيلي، وهبة، الوجيز في أصول الفقه، دار الفكر، ط2، دمشق، 1995م، ص 226.
(3)ينظر:الزحيلي، محمد مصطفى، القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، دار الفكر، دمشق، 1 / 28.

الأخلاق والبيئة

تعد الأخلاق حجر الأساس للتعاملات الإنسانية، وقد جاءت الأديان كلها بالدعوة إلى الإعداد الخلقي، وجعلته على قمة أهدافها التوجيهية والتربويّة، وتكمن أهمية الإعداد الخلقي للإنسان فيأنّ الأخلاق مجالها الحياة كلّها، وسلوك الإنسان، وعلاقاته بربه وبنفسه وبالآخرين؛ وبكل المخلوقات.

ومن هنا فإن **افتقاد** الإنسان للسلوك الأخلاقي السليم، ينعكس وبصورة سلبية على تعاملاته، فربما يكون سببا في إحداث أي نوع من أنواع التلوث، ولأن البيئة النظيفة تحتاج إلى إنسان لديه من القيم الخلقية ما يجعله يحرص على رعاية البيئة، ويسعى جاهدا للمحافظة عليها، باذلا جهده ووقته وماله من أجل خدمتها والدفاع عنها.

ومعيار الاهتمام **بالبيئة** يتجسد في وجود مجموعة من القيم الخلقية التي يتمثلها الإنسان ويعبر عنها في سلوكه، وعلى سبيل المثال فإن قيمة الصدق كقيمة وفضيلة من الفضائل التي يحرص عليها الإنسان تجعله حريصا على المحافظة على البيئة بوازع ذاتي ومن غير رقيب خارجي، كذلك فإن قيمة النظافة تجعل الإنسان يمتنع عن إلقاء المخلفات في غير الأماكن المخصصة لإلقاء تلك المخلفات، وهو على قناعة بما يفعل. فالإعداد الخلقي هو الذي يجعل من الصفات الحسنة عادات في سلوك الإنسان، كما تجعله نافراً من الصفات السيئة، وإن مظاهر التلوث البيئي، يرجع السبب المباشر في حدوثها إلى الإنسان، ولهذا وجب التركيز على دراسة السبب الأساسي وراء تلوث البيئة والمتمثل في نقص التربية الأخلاقية، وبالتالي وجود تلوث خلقي(1).

وعند دراسة **أخلاقيات** التعامل مع البيئة، تبرز أهمية تحليل مفهوم الأخلاق عموما، فالأخلاق في جانبها العملي أمر مكتسب يخضع للممارسة والتعود حتى يتطابق مع النظريّ المجرد، وإذا كانت التربية تتناول قوى الإنسان وملكاته، فإنّ عمل الأخلاق هو توجيه هذه الملكات والأعمال نحو الاستقامة، وجعلها عادات سلوكيّة راسخة تحافظ على البيئة من التلوث، وتجعل مكونات البيئة عناصر مفيدة تضطلع بدورها في صنع الحياة(2).

إن تغيير الاتجاهات النفسيّة والفكريّة المتعارضة مع السلوك الاجتماعي المرغوب فيه إلى التغيير المرغوب فيه، والمتناسب مع عقيدة المجتمع وقيمه، ومظاهر سلوكه الخلقي؛ يقتضي إزالة التناقض بين الأنظمة والقوانين المعمول بها من ناحية، ورغبات المجتمع وتطلعاته وآماله المستمدة من عقيدته من ناحية أخرى، وكذلك ربط التقدم الاقتصادي، والتكيّف الاجتماعي بالأخلاق، فالتقدّم الاقتصادي لا يعتمد على ما تملك الأمة من إمكانات مادية، وقوى بشرية متعلمة مدربة فحسب، بل على ما يتحلّى به الأفراد من سلوك أخلاقي يضبط العلاقات، ويحقق التعاون، ويعمق الإحساس بالمسؤولية، ويصون الحقوق العامة والخاصة، ومن أبرزها الحفاظ على البيئة من كل ما استحدثه الإنسان من تقنيات، وما ابتكره من اكتشافات تتسبب في إفساد الهواء أو تلوثه(3).

(1) ينظر: عبد الشافي، عصام محمد، البيئة وأخلاقياتها بين الشرائع السماوية والتيارات الفلسفية في:
HTTP: //WWW.GLOBALARABNETWORK.COM/COMPONENT/COMPROFILER/USEPROFILE/1352
(2)عبد المقصود، زين الدين، البيئة والإنسان "رؤية إسلامية"، دار الحديث للبحوث العلمية، القاهرة، ص 11 .
(3) الحلو، ماجد راغب، قانون حماية البيئة في ضوء الشريعة، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، 199م، ص 151.

أخلاقيات التعامل مع البيئة في الإسلام

أثنى سبحانه وتعالى على النبي صلى الله عليه وسلم بحسن خلقه، وجعله القدوة الحسنة، قال تبارك وتعالي:" لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا" الأحزاب: 21، وقد جسد صلى الله عليه وسلم هذه الآية الكريمة واقعا عمليا في مسلكه ومعاملاته، وبنظرة إلى شمائل رسول الله صلى الله عليه وسلم نراها هي القدوة الحسنة، وإن أبلغ وصف للنبي الكريم صلي الله عليه وسلم جمع شمائله كلها، ولخص عظمته الخلقية قول الله عز وجل "**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**" القلم:4،وعن أهمية الخلق فقد أشاد الإسلام بالخلق الحسن ودعا إلى تنميته وتعزيزه، فالأخلاق عنوانها الرحمة، الرحمة من الإنسان لأخيه الإنسان، والرحمة من الإنسان للحيوان، والرحمة من الإنسان للطبيعة فلا يعبث بثرواتها التي هي خيرات أمده الله بها، ويكفى أن نعلم أن عدم التفريط بالثروة وصل لدرجة عدم الإسراف بالماء عند الوضوء حتى لو كان المسلم يتوضأ من ماء نهر جار، والرحمة مطلوبة أيضا من الإنسان لنفسه، فلا يطلب منه أن يحمل مالا يطيق.

وفي إطار الرؤية الإسلامية، تعددت الآيات الكريمة التي تناولت أخلاقيات التعامل مع البيئة، ومن ذلك قوله تعالى:﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ الروم: 41، وقوله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ الأعراف: 31،وقوله تعالى:﴿وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ الأعراف: 85.

القيم الأخلاقيّة في الإسلام ممارسة عملية

إن من ثوابت الإسلام تحقيق التوازن بين القيم الأخلاقيّة النظريّة والقيم الممارسة في المجتمع، والأخذ من العادات والتقاليد بما يتمشى مع قيم الإسلام؛ وهذا التوازن هو الذي يحقق ما يسمى بالتكيّف مع المتغيرات، وتأكيدا على هذه القيم قال تعالي: ﴿"**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ** وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ فاطر: 27–28، وقال تعالى:﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ فصلت:11.9.

والقيم البيئية في الإسلام متعددة، وهي المعايير المنبثقة من مجموعة قواعد أصولية، بمثابة موجهات لسلوك الإنسان تجاه البيئة، تمكنه من تحقيق وظيفة الخلافة في الأرض، ويمكن تقسيم القيم البيئية الإسلامية، إلى قيم المحافظة، وقيم الاستغلال، وقيم التكيف، وقيم الجمال، وعلى النحو التالي:

1. قيم المحافظة: وهي قيم مرتبطة بتوجيه سلوك الأفراد نحو المحافظة على مكونات البيئة، وتشمل المحافظة على نقاوة الغلاف الجوي، ونظافة الثروة المائية، ورعاية الثروة النباتية، وتنمية الثروة الحيوانية، وعلى الاستخدام الأمثل للثروات، ونظافة الطرقات، وصون المرافق العامة، والحفاظ على الصحة البدنية، وعلى الالتزام بالهدوء والسكينة.

2. قيم الاستغلال: وهي قيم تتصل بتوجيه سلوك الأفراد نحو الاستغلال الجيد لمكونات البيئة، وتتضمن عدم الإسراف، وعدم التبذير، والبعد عن الترف، والاعتدال والتوازن، حيث يدعو الإسلام إلى الاعتدال في استهلاك موارد البيئة بحيث تكفي الضرورات والحاجات بدون إفراط ولا تفريط.

3. قيم التكيف: وهي قيم تختص بتوجيه سلوك الأفراد نحو التكيف مع البيئة، وتصحيح المفاهيم السلبية تجاهها، وتشمل التكيف مع التغيرات الطبيعية مثل قسوة الظروف المناخية، وطبيعة الأرض في تضاريسها، وغيرها من عوامل الطقس والمناخ.

4. قيم جمالية: وهى قيم تتعلق بتوجيه سلوك الإنسان نحو التذوق الجمالي لمكونات البيئة، والإحساس بما خلق الله سبحانه وتعالى من مخلوقات حباها جلت قدرته بمظاهر الحسن والجمال(1).

(1) ينظر: عبد السميع،صلاح، التربية البيئية في الإسلام مفهومها وأهدافها في الموقع الالكتروني:
HTTP://WWW.KHAYMA.COM/ALMOUDARESS/TAKAFAH/KIAMALBIA.HTM
وأيضا: عبد السميع،صلاح، التلوث الخلقي، في الموقع الإلكتروني :HTTP://WWW.ALMUALEM.NET/KHOLOGI.HTML
وأيضا: عبد الشافي،عصام محمد،البيئة وأخلاقياتها بين الشرائع السماوية والتيارات الفلسفية في الموقع الإلكتروني:
HTTP:
//WWW.GLOBALARABNETWORK.COM/COMPONENT/COMPROFILER/USEPROFILE/1352

التربية البيئية في الإسلام

إن الإسلام يتعهد الفرد بالتربية والتهذيب، ويعتني بالجماعة ويرعاها، ويمنع عنها أسباب الانحراف، ويحول دون انزلاقها إلى الفوضى؛ ومن صور التربية البيئية في الإسلام غرس فكرة العناية بالبيئة والمحافظة عليها، وإصلاح البيئة لن يتحقّق إلاّ إذا صلح الإنسان، لذلك رأينا القواعد والأسس التي وضعتها الشريعة الإسلامية، وهي قواعد تتّصف بالدقّة والموضوعية، والتي هي بعيدة عن الجوانب الإجرائية والشكلية، ويسهل الاسترشاد بها في مواجهة الأخطار التي تهدد البيئة.

وتأتى أهمية أهداف التربية البيئية من المنظور الإسلامي لتؤكد أن الإسلام دين يؤكد على العناية بالبيئة، انطلاقا من رؤية الإسلام في تنمية الوعي البيئي لدى الإنسان عن طريق تزويده بالمعرفة الصحيحة عن البيئة ومكوناتها، وتطوير القيم والمهارات البيئية لدى الإنسان، حتى يستطيع على ضوئها مواجهة مختلف الصعاب، ومن ثم استغلال موارد الطبيعة بصورة نافعة، وتنمية قدرة الإنسان على تقويم كل ما يتعلق بالبيئة من أجل تحقيق تربية بيئية أفضل، وإيجاد التوازن وتعزيزه بين العناصر المتفاعلة في البيئة لما فيه صالح الإنسان، ذلك أن الاهتمام الذي يوليه علماء البيئة وأنصارها، إنما يعبر عن رغبة في حماية كل ما يحيط بالإنسان في الوسط الذي يعيش فيه(1)، وتعمل التربية البيئية في الإسلام، والتي تعني النشاط الإنساني عموما والمتصل بالبيئة وبالعلاقات القائمة بين مكوناتها على تكوين القيم والمهارات البيئية وتنميتها على أساس مبادئ الإسلام والغاية التي من أجلها خلق الإنسان.

إن إنماء الجانب التربوي في الإنسان يحقق العديد من الأهداف منها، أن التربية وسيلة من وسائل بناء الشخصية وتكاملها ، والجانب الترب ويأمر ضروري لحياة الإنسان، حيث يغرس فيه مبادئ التربية السليمة التي تحرك وجدان الأفراد، ويعوده النفور من كل قبيح، والتمتع بكل جميل، سواء كان ذلك في السلوك الشخصي أو في الملبس أو المأكل أو غيرها، ونجد في سلوك الرسول صلي الله عليه وسلم القدوة الحسنة، فقد كانت حياته صلي الله عليه وسلم في بيته أو في مجتمعه تتصف بالواقعية، وأن تربية الإنسان علي التعلق بالخير والنفور من الشر، وتربيته علي الإحساس بمخلوقات الكون هي الوسيلة للحفاظ على البيئة، ذلك أن أسلوب التربية الإسلامية يقوم على معالجة الكائن البشري معالجة شاملة، لا تترك منه شيئا، ولا تغفل عن شيء، جسمه وعقله وروحه، حياته المادية والمعنوية، وكل نشاطه على الأرض.(2)

إن أحكام الفقه الإسلامي تعرضت لمكونات البيئة وما يرتبط بها من قضايا، ومن أبرزها التربية البيئية، ووردت هذه الأحكام في مواضع ترتبط بالعقيدة والعبادات والمعاملات، فالرؤية الشاملة للبيئة ترى الإنسان سيدًا في الكون، ومستخلفًا على الكون بكائناته ومخلوقاته، وبالتالي فإن التربية البيئية في الإسلام تعد مسألة جوهرية وحيوية عبر إدماجها في السلوكيات والآداب والعبادات اليومية.

(1) كامل، نبيلة عبد الحليم، نحو قانون موحد للبيئة، دار النهضة العربية، القاهرة، 1993م، ص 55.
(2) قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، القاهرة، 1970م، ص 19.

الخاتمة

لما كانت رسالة الإسلام هي قيادة الإنسانية إلى الفضيلة، وانتشالها من الظلمات إلى النور، والسعي إلى تحرير الإنسان من عبادة الذات وضيق الأفق، والإقبال إلى الخالق سبحانه وتعالى، فإن الإسلام يطلب من معتنقيه طهارة القلب، ونظافة اللسان، وتزكية النفس، كما يطلب منهم نظافة البدن والملبس والمسكن، والحفاظ على البيئة ورعايتها واجب ديني تفرضه تعاليم الأديان، وأبرزها الإسلام التي تحثّ مصادره على حماية البيئة والاهتمام بها، والتي تنهى عن الفساد والإفساد في الأرض، كما أنّ حماية البيئة والمحافظة عليها هو واجب اجتماعي، وأمر يجب أن تتكاثف من أجله جهود الجميع، وهو المعول عليه في نجاح المسيرة البشرية، والاهتمام بالبيئة يمثل دور ريادي لما لهمن أهمية كبيرة في قضايا عديدة تمس جميع مناحي الحياة.

إن الأخطار البيئية ازدادت حين تجاوز الإنسان الاستخدام الأمثل لموارد الطبيعة؛ ولذلك فإنَّ خير ضمانة للمحافظة على البيئة هو التعامل الرشيد معها، وهو ما جاءت به تعاليم الإسلام، فقد أقام الإسلام بناءه على التوازن والاعتدال، فالاعتدال هو مسلك المسلمين ودعوة الإسلام في كلّ الأحوال والأوقات، ومن ثمَّ فإنَّه خير ضمان لحماية البيئة الذي سنّه الخالق . سبحانه وتعالى . لاحتضان الحياة واستمرار الوجود على كوكب الأرض، وأن مشكلات التلوّث البيئي لها علاقة بإسراف الإنسان في تعامله مع مكونات البيئة المختلفة، وما يترتب على ذلك من تلوّث للبيئة بجميع أشكاله، كما أن الإسراف يفضي إلى مشكلات بيئية متعددة، لا يقتصر تأثيرها على الإنسان وحده بل يَمتدّ ليشمل باقي الموجودات على كوكب الأرض.

لقد اعتني الإسلام بالصحة العامة التي تقوم على النظافة ورعاية الجسم، وصحة الأجهزة والحواس، كما إن أحكام النظافة والطهارة في الإسلام ترقى بأهميتها إلى كونها شرطاً للعبادات، فلا تصح إلا بها، وأُنزلت منزلة نصف الإيمان، واهتم الإسلام بصحة الأبدان والأجسام، فشرع الآداب الصحية ووسائل الوقاية، وأوجب الطهارة والنظافة وهما عماد الصحة، وحض على التطبب والتداوي، وحذر الناس من أن يخلطوا بين التوكل والتواكل، فيهملوا التداوي؛ذلك أن السعي في طلب العافية واتخاذ الأسباب الموصلة إليها لا ينافي التوكل، وإن ذلك من صميم رسالة الإسلام.

إن أحكام الفقه الإسلامي تتعامل تعاملا واقعيا في نظرتها للبيئة وعلاقتها بالإنسان، ومن خلال ذلك تبرز أهمية الفقه الإسلامي في مجال البيئة، فهو يسهم إسهاماً فاعلاً وعمليا في علاج المشكلات البيئيّة إذا تعامل الفرد وتعاملت المجتمعات مع قضايا البيئة من منظور إسلامي ابتداءً من أحكام الطهارة، إلى المحافظة على الثروات الطبيعية، وصولا إلى عدم الفساد في الأرض بجميع أشكاله ومختلف صوره؛ من أجل بيئة نقية طاهرة تسهم في دعم التنمية البشرية، وتحقيق العيش الكريم للإنسان.

المراجع

القرآن الكريم.

التوراة، ترجمة العالم الجديد، إصدار جماعة شهود يهوه، نيويورك، 2004م.

الإنجيل، إصدار "كتاب الحياة"، الطبعة الأولى، 1996م.

ابن تيمية، أحمد، 1993م، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ط1، تح مجدي قاسم.

ابن عاشور، محمد الطاهر، 2001م، مقاصد الشريعة الإسلامية، تح محمد الميساوي، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان.

الأصفهاني، الراغب،1973م، الذريعة إلى مكارم الشريعة ، مراجعة وتقديم طه عبدالرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية.

الإمام أحمد، 1999م مسند الإمام أحمد ، ط2، مؤسسة الرسالة.

أبو داوود، سنن أبو داوود، المكتبة العصرية، بيروت.

البخاري، 1987م، صحيح البخاري ، ط3 ، دار ابن كثير، بيروت .

البغدادي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم ، تح شعيب الأرنؤوط وآخر، مؤسسة الرسالة، بيروت.

الترمذي، سنن الترمذي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

حشيش، أحمد محمد ، 2001م، المفهوم القانوني للبيئة في ضوء أسلمة القانون المعاصر ، دار الفكر المعاصر، الإسكندرية.

الحلو، ماجد راغب، 1999م قانون حماية البيئة في ضوء الشريعة ، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية.

دروزة، محمد عزة، اليهود في القرآن الكريم، المكتب الإسلامي، القاهرة.

الدمنهوري، عاشور بريك،1990م أحكام العبادات ، دار الأفاق الجديدة، الدار البيضاء.

الريسوني، قطب،2008م، المحافظة على البيئة من منظور إسلامي ، ط1، دار ابن حزم.

الزحيلي، محمد مصطفى،2007م، القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة ، دار الفكر، دمشق.

الزحيلي، وهبة،1995م الوجيز في أصول الفقه ، دار الفكر، ط2، دمشق.

سلامة، أحمد عبدالكريم، قانون حماية البيئة الإسلامي ، ط1 دار النهضة العربية، القاهرة.

السملالي، عبدالمجيد، الوجيز في قانون البيئة ، ط1، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع.

الشاطبي، أبو اسحاق موسى بن ابراهيم، الموافقات ، تح عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت.

الصالح، محمد أديب،1993م، اليهود في القرآن والسنة ، ط1،دار الهدى للنشر والتوزيع، الرياض.

أرناؤوط، محمَّد السيد،2007م، التلوث البيئي وأثره على صحة الإنسان ، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

العالم، يوسف،1992م، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ، دار الحديث، القاهرة.

عبد السميع، صلاح، التلوث الخلقي ، في الموقع الإلكتروني:
HTTP://WWW.ALMUALEM.NET/KHOLOGI.HTML

عبد السميع، صلاح، التربية البيئية في الإسلام مفهومها وأهدافها ، في الموقع الالكتروني:
HTTP://WWW.KHAYMA.COM/ALMOUDARESS/TAKAFAH/KIAMALBIA.HTM

عبد الشافي، عصام محمد، البيئة وأخلاقياتها بين الشرائع السماوية والتيارات الفلسفية ، في الموقع الإلكتروني:
HTTP://WWW.GLOBALARABNETWORK.COM/COMPONENT/COMPROFILER/USEPROFILE/1352

عبد المقصود، زين الدين، البيئة والإنسان "رؤية إسلامية" ، دار الحديث للبحوث العلمية، القاهرة.

غانم، حسين مصطفى،1997م، الإسلام وحماية البيئة من التلوث، جامعة ام القرى، مكة المكرمة.

الفقي، محمد عبدالقادر،1993م البيئة مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث "رؤية اسلامية" ، مكتبة ابن سينا، القاهرة.

القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن ابي بكر، الجامع لأحكام القرآن ، تح. هشام البخاري، دار علم الكتب.

قطب، محمد،1970م، منهج التربية الإسلامية ، دار الشروق، القاهرة.

كامل، نبيلة عبد الحليم،1993م، نحو قانون موحد للبيئة ، دار النهضة العربية، القاهرة.

مرسي، محمَّد،1999م الإسلام والبيئة ، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.

مسلم، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الهندي، رحمة الله،2005م، إظهار الحق ، دار إحياء التراث الإسلامي، الدوحة.

جماعة شهود يهوه،2005م، ماذا يعلم الكتاب المقدس حقا ، نيويورك.

تقرير مجموعة عمل مقاومة مضادات الميكروبات في الموقع الالكتروني:
http://www.dpnfts5nbrdps.cloudfront.net/app/media/408